التصدع الاخلاقي في المجتمع الروماني
إبان القرن الأخير من الجمهورية الرومانية
دراسة تاريخية

إعداد

دكتور/ نادر فتحي محمد

مدرس - كلية الآداب – جامعة دمياط

هذه دراسة تاريخية ترتكز على ما جاء بالمصادر لموضوع " التصَدع الخُلقي في المجتمع الروماني في الفترة التاريخية محل الدراسة ، عارضة ومحللة وناقدة لمدلولات المصادر سواء سلبًا أو إيجابًا لما طرأ على المجتمع الروماني من كسر النسق القيمى للمجتمع رصدها المؤرخون والأدباء والشعراء فنجد أن فاليريوس ماكسيموس ذكر ذلك قائلاً : " إن انتصار الرومان في معركة زاما عام ٢٠٢ ق.م كان نقطة تحول في المجتمع الروماني ذاكرًا " أن المرأة حينها بدأت تبحث عن مزيد من الحريات بعد أن أعتدن غياب الأزواج في الحروب مما تسبب في تمردهن على التقاليد والعادات" [١] يؤكد فيليوس باتروكولوس Velleius Paterculus نفس المعنى قائلاً : " فتح سكيبيو الأكبر الطريق لسيطرة الرومان ، وفتح سكيبيو الأصغر الطريق للرفاهية "

Polentiae Romanorum Prior ScipioViam aperuerat, luxuriate posterior aperuit [٢]

شيشرون Cicero [٣] في عمله " تناقضات الرواقيين Paradoxa Stoicorum " أشار بأن الجشع avaritia وعدم الرضا وحب المال لن يحقق السعادة ونادى بأن الفضيلة وحدها تكفي لتحقيق السعادة وأن من يريد السعادة

([1]) Valerius Maximus. 9. 1-3

– كاتب ومؤرخ لاتيني أزدهر عام ٣٠ ميلادية كتب تسع كتب عرفت باسم الحكايات التاريخية لاستخدام البلغاء Memorabilium اشتهر في عهد الإمبراطور تيبريوس من ١٤–٣٧ م ولم يُعرف شيء عن حياته غير أنه نشأ من أسرة فقيرة وكان صديق حميم للإمبراطور تيبريوس وأمراء الأسرة اليوليوكلاودية وسجل لنا خطبة عصماء ضد سيجانوس – وللمزيد انظر :

valerius maximus - O.C.D. s.v.

(2) - Velleius Paterculus 2.1.1.

[٣] – شيشرون ١٠٦ ق.م – ٤٣ ق.م كاتب وروائي روماني كتب عمله تناقضات الرواقيين عام ٤٦ ق.م وكرث العمل لشرح ستة أقوال للرواقيين وشرح فيها كيفية الاستشهاد بالمتناقضات – وللمزيد انظر :

- O.C.D. s.v. Cicero., Paradoxa Stoicorum .

عليه " أن يكبح أوَّلاً شهواته ، وليحتقر اللذات ، ولـــيكظم غيظـــه وليضـــع حـــدًا لجشعه" (١)

Refrent primum libidines, spernat voluptates iracundiam teneat, coerceat avaritiam

ويؤكد شيشرون أيضًا في عمله المناقشات التوسكلانية أن الجِشع سيكون قلق البال خائفاً دائمًا ، ويرى أن السعادة في حياة الزهد

" لأن السعيد من يرضى بالقليل An qui contentus parvo "

" الذي يريد ما يكفيه فقط Desiderantem quod satis est " (٢)

فمنذ نهاية الحروب البونية (٣) وحتى قيام الحروب الأهلية (٤)

---

(1) - Cicero., Paradoxa Stoicorum. 33.

(2) - Cic. Tusc. Disp. III, 49, 5;v. 26.89

(٣) – الحروب البونية هي سلسلة من ثلاثة حروب ، وقد كانت أطرافها هي دولة قرطاجة والجمهورية الرومانية ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة لكلمة Punici القرطاجية ، وقد كان السبب الرئيس في اندلاع هذه السلسلة من الحروب ، هو الصدام الذي حدث بين كل من روما وقرطاجة ، وأمل الرومان في التوسع في حوض البحر المتوسط بأكمله – ولمزيد انظر :

- Scullard, Howard Hayes: A History of the Roman World, 753 to 146 BC. Routledge, 2002, page 316.
- Chris Scarre, "The Wars with Carthage," The Penguin Historical Atlas of Ancient Rome (London: Penguin Books, 1995),P.P 24–25.
- Miles, Richard. Carthage must be destroyed: The rise and fall of an ancient superpower. New York: 2011.P. 24
- Hoyos, B. D. A Companion to the Punic Wars. Malden, MA: Wiley-Blackwell. 2011. P. 55
- Gary Forsythe, A Critical History of Early Rome: From Prehistory to the First Punic War, University of California Press, 2006 p.368

(٤) - كان هناك العديد من الحروب الأهلية civil wars الرومانية ، وخاصة خلال أواخر الجمهورية .أكثرها شهرة هي الحرب التي دارت في أربعينيات القرن الأول ق.م بين يوليوس قيصر وفصيل من نخبة مجلس الشيوخ بقيادة بومبيوس في البداية ومن ثم بين خلفاء قيصر وماركوس أنطونيوس وأوكتافيوس في العقد التالي .

- Kohn, George Childs, 'Dictionary of Wars, New York, 1999. pp 40-62
- E.S. Gruen, The Last Generation of the Roman Republic, California U.P. 1974,p. 74-79
- Cynthia Damon,= Brian Breed, and Andreola Rossi. Citizens of Discord: Rome and its Civil Wars. Oxford University Press, 2010. P 103 .

ونهاية الجمهورية وسقوطها [1] تمثلت الأخطار في :

- تدهور الزراعة وتضاعف أعداد سكان المدينة الخاملين الذين لا يؤمن جانبهم إلا بالمنح والرشاوى وإقامة المهرجانات العامة بينما لا توجد طبقة متوسطة متماسكة البنيان
- شيوع الانحلال الخُلقي الذي يسببه وجود أعداد ضخمة من العبيد والأخطار التي تتمخض عنها ثقافة وتربية تعوزهما الأسس الأخلاقية .
- ثراء عظيم ينعدم لدى أصحابه الإحساس بالمسئولية وينحصر همهم في إشباع شهواتهم

فتناسوا الثبات والقوى Fortitudo والحكمة Sapientia والمجد Glorio ، وابتعدوا عن الشرف والاعتدال Moderatio والإيمان Fides والفضيلة Virtus وهجروا التقاليد الرومانية ، لذا سقطت القيم صريعة ، وداس الناس على الأخلاق والمُثل العليا . فتفككت الأسر الرومانية خاصة تلك التي فقدت عائلها ، وقل عدد الرجال بينما تزايد عدد النساء ، مما أدى إلى انتشار الفساد الخلقي والعبادات البوهيمية الخليعة . ليس هذا فحسب ، أيضًا المواطن الروماني نفسه آنذاك كان أسوأ من أن يلتزم بتطبيق القوانين .

النبلاء أيضًا تعودوا على حياة الترف والنعيم ووجدوا من الصعب قبول قوانين تُلزمهم بالاستقامة والعودة إلى البساطة Simplicitas وأخلاق السلف Mos Maiorum . كما أسفرت الحروب الأهلية عن النكبات الاجتماعية التي جرتها على البلاد نسوة مستهترات أسيئت تربيتهن ، وأدت إلى إهمال رباط الزوجية ، ويمكن إرجاع تلك التغيرات التي طرأت على المجتمع إلى عدة أسباب منها :

---

[1]- Gary Forsythe, A Critical History of Early Rome: From Prehistory to the First Punic War, University of California Press, 2006 pp. 368- 372.

- Rosenstein, Nathan, "Aristocrats and Agriculture in the Middle and Late Republic", The Journal of Roman Studies, Vol. 98 (2008), pp. 1-3.

- David Johnston, Roman Law in Context (Cambridge University Press, 1999), pp. 33-34.

- رفض القيم الدينية التي تحدد طبيعة العلاقة بين الزوجين والتي كانت تحمي قُدسية الموقد وآلهة الموقد ، وعبادة الأسلاف وإنجاب الأطفال
- الفكر الفلسفي الجديد الذي يؤيد الحرية [١] .

وقد عبر لنا كاتو الأكبر الرقيب Cato Maior [٢] (٢٣٤ – ١٤٩ ق. م) عن استيائه من الوضع القائم – الجديد على المجتمع – عندما رأى شاباً يخرج من أحد المواخير يومًا ما فقال له : " حسنًا ما فعلت ، هذا أفضل من مطاردة زوجات الآخرين " ، ولكنه بعد أن رآه كثير التردد على هذا المكان قال له : " انظر هنا ، عندما وافقتك على التردد على هذا المكان لم أكن أعني أن تتخذه مقرًا لك "[٣] . القنصل ميتيلوس ماكيدونيكوس Metellus Macedonicus ١٣٤ ق.م – ١٣١ ق.م ألقى محاضرة على الشعب أثناء ولايته كقنصل لروما يحث فيها الشباب على الزواج ، وإنجاب وتربية الأطفال وذلك لقلقه من القصور والعجز الموجود في

---

[1]-Dionysius of Halicarnassus IV, 16-18;

A.J. McGinn.. Roman Family Law, 2004 Oxford University pp. 31–32, 457,

=Richard Saller. The Roman Empire: Economy, Society and Culture, University of California 1987 pp. 112f.

[٢] – كاتو الأكبر Cato the Elder سياسي عاش في روما القديمة ، اشتهر بسياسته المحافظة ومعارضته الشديدة للهلينيّة . يعود أصل كاتو الأكبر إلى عائلة من العامة التي لم تكن معروفةً إلا بخدمتها في الجيش الروماني ، عوضاً عن شغلها لأية وظائف مدنيّة عالية السِّمعة كما فعل هو . كان قد رُبّي كأجداده اللاتينيين على الزراعة ، وهي المهنة التي كان يزاولها خارج أوقات الخدمة العسكرية . لكن حصل وأن لفت نظر قنصل روماني يُدعَى لوكيوس فالريوس فلاكوس ، فعمل هذا القنصل على إحضاره إلى روما ، ومن هنا تمكّن كاتو من دخول هرم المناصب الرومانية والنجاح فيها – وللمزيد انظر :

- Livy, History of Rome, xxxiv. 43, 46; Plutarch, Life of Cato the Elder, 1;

- Valerius Maximus, ii, 2; Pliny, Natural History, xxix. 8; Livy, History of Rome, xxxiv. 1, 8.

[3]- Horatius, Satura, 1. 2. V. 31-36.

إمداد الجيوش الرومانية بمجندين جدد ذلك حتى لو كان الــزواج شــيئًا بغيضًــا بالنسبة لهم [١]

كما كشفت الأحداث عن انحراف أصحاب النفوذ الذين كــانوا يعتبــرون نفوذهم هذا مجرد فرصة للسلب والنهب وكذلك عن سوء المصير الذي ينتظر بلدًا كان فيه الدين مجرد طقوس شكلية ومجرد وسيلة تلهي الناس عن إثــارة القلاقــل ضد المجتمع المدني .

رصد هذه المتغيرات الشاعر إنيوس Ennius [٢] ٢٣٩ ق.م – ١٦٩ ق.م فوصف السعادة بانها الخير الأعظم Summum bonum وحارب ظاهرة إطــلاق العنان للشهوات قائلاً : " إنه لمن الأهمية بمكان سماع ما يلي ، يا من ترغبون في التقدم بحق وفي تنمية الوطن الروماني ولاتيوم " [٣]

Audire est operae pretium, procedure recte qui rem Romanam latiumque augescere voltis

---

[١] - كان كوينتوس كايكيليوس ميتيلوس ماكيدونكوس Quintus Caecilius Metellus Macedonicus (حوالي ٢١٠ ق.م - ١١٦ ق.م / ١١٥ ق.م) بروقنصل عام ١٤٨ ق.م ، قنصلًا عام ١٤٣ ق.م . قائد عسكري ، حارب في الحرب المقدونية الثالثة ، ولعب دورا محوريا في الرابعة وكان قائد معركة سكارفيا Battle of Scarpheia في عام ١٤٦ ق.م بين قوى الجمهورية الرومانية والعصبة الآخية - وللمزيد انظر :

- Plutarch, Cato Maj. 22; Aulus Gellius, vii

- Lucian, Macrobii 20; Cicero, De Oratore, i. 11.

- Saturnalia i. 5 ; Cicero, de Orat. ii. 37, 38.

- Plutarch, Parall. min. cc. 6, 9.

- Stockton, David. The Gracchi, Oxford University Press, Oxford 1979 P. 60.

[٢]– ولد كونيتوس إنيوس في روديلي بكلابريا التي يطلق عليها ميسابيا Messapia عام ٢٣٩ ق.م ، كان إنيوس يفاخر بأنه ذو أفئدة ثلاثة Tria Corda أي ينتمي إلى ثلاث ثقافات هي الإغريقية والأتروسكية واللاتينية وتوفي عام ١٦٩ ق.م – أهم مؤلفاته كانت الحوليات التي تناول فيها تطور روما من البدايات وحتى عصر شيشرون وتقع في ثمانية عشر مجلدًا وألف العديد من المسرحيات التراجيدية والتي لا تقل عن عشرين مسرحية وله أيضًا مسرحيات تاريخية Praetextae وأربعة كتب في الساتوراي ولم يصلنا منها سوى واحد وثلاثين بيتًا متفرقه

[٣] - Ennius, Annales, 465. Vahlen

وهنا يدعو إنيوس Quintus Ennius [١] إلى الفضيلة والتمسك بالأخلاق والبُعد عن كل ما يشين الإنسان ويهدر وضعه وكرامته مناديًا بترك كل مظاهر الرفاهية الدخيلة على المجتمع الروماني كذلك أيضًا تناول لوكيليوس [٢] الفضيلة حيث قال : "إن الفضيلة هي معرفة الغاية التي يجب أن نسعى إليها ونحققها فهي العطاء وأيضًا تجنبك العدو والخصم والأخلاق السيئة وتحافظ على ثروتك [٣] وهاجم الانحراف والزنا كظاهرة قائلاً : " إذا رأيت زوجة خائنة فسترى حتمًا عائلة بائسة وبيتًا مدنسًا " [٤]

---

[١] – كوينتوس إنيوس ٢٣٩ – ١٦٩ ق.م كاتب وشاعر عاش خلال الجمهورية الرومانية . ولد في روديه هي بلدة صغيرة تقع بالقرب من ليتشي الحديثة ، كتب الحوليات Annales وهي قصيدة ملحمية في خمسة عشر كتابًا ، ثم توسعت فيما بعد إلى ثمانية عشر ، تغطي التاريخ الروماني من سقوط طروادة في عام ١١٨٤ ق.م وصولًا إلى رقابة كاتو الأكبر في عام ١٨٤ ق.م . التي أصبحت نصًا مدرسًا لتلاميذ المدارس الرومانية ، أيضًا كتب The Saturae هي مجموعة من حوالي ثلاثين سطرًا من القصائد الساخرة مما جعلها أول مثال على الهجاء الروماني . هذه =الخطوط مكتوبة في مجموعة متنوعة من العدادات الشعرية . كانت القصائد في هذه المجموعة " مهتمة في الغالب بالحكمة العملية – وللمزيد انظر :

- Aicher, Peter. "Ennius' Dream of Homer". The American Journal of Philology. 110 (Summer 1989) (2): 227–232

- Goldschmidt, N. Shaggy Crowns: Ennius' Annales and Virgil's Aeneid. Oxford: Oxford University Press. (2013). Pp. 46-50

[٢] - جايوس لوكيليوس Gaius Lucillius شاعر روماني ولد في سويسا أورونكا Suessa Aurunca على حدود كمبانيا من ناحية لاتيوم عام ١٦٨ ق.م – ١٦٧ ق.م وتوفي عام ١٠٣ ق.م ، كان يتميز بسمات أربع: هي الثقافة والصراحة والجد والظُرف ، تُعد أشعار لوكيليوس وثيقة تاريخية هامة هاجم فيها مظاهر الترف والبذخ التي كان يحياها الأغنياء متناسين الأغلبية من الفقراء حيث أصبحت روما تضم أجناسًا متباينة الأشكال والألوان ، كانت أشعاره أقرب ما تكون إلى الأحاديث وبلغة اقرب ما تكون إلى الحديث اليومي Sermo Cotidianus – وللمزيد انظر :

- OCD. S.V, Gaius Lucillius

[3]- Lucillius sat. 1200-1204

[4] - Lucillius 639 L.C.L

" Coniugem infidamque pathicam familiam inpuram domum."

في معظم الشذرات التي تتحدث عن الزواج ، نجد لوكيليوس يسخر من الزوجة التي تخلت عن جوهر دورها ، حيث يقول إنها تتزين وتلبس حُليها أمام زوار المنزل ولا تفعل ذلك من أجل زوجها [١] .

" Cum tecum est, quidvis satis est; visuri alieni sint homines, spiram pallas redimicula promit. "

يدين نقيصة الزنا ، حيث بعض الأزواج الذين لا يهمهم إلا المال ، حتى أنهم من الممكن أن يتحولوا إلى قوادين لزوجاتهم من أجل أن يتقاسموا هدايا العشيق– قائلاً :

أنا لا أنام من أجل الجميع [٢] Non omnibus dormio

يصف لوكيليوس المرأة بالإهمال في واجباتها المنزلية ، وذلك حين يكون الزوج خارج المنزل [٣]

Lana, opus omne perit; pallor tiniae caedunt

حيث يحث لوكيليوس على الذهاب إلى بيت الدعارة ، وذلك لإشباع الرغبة الجنسية ، كبديل للزنا مع زوجات الآخرين ، قائلاً : " إنك سوف تجد ما تريده من نساء على مستوى عالٍ من الجمال هناك " هنا سوف تجد جسمًا مستقيمًا وممتلئًا وصدرًا أبيض مثل المرمر " [٤] .

- هذه الكلمات هي مثل يعزي إلى رجل ما يدعى كيبيوس Cipius وقد كان يلقب بكلمة البارارهنخون ، وهو لقب إغريقي " أي الشريك الذي يغط في النوم ، وذلك لأنه كان يتظاهر بالنوم حتى تتمكن زوجته من الاختلاء بعشيقها ، ولكنه كان يستيقظ فورًا إذا حاول أحد أن يسرق النبيذ – وللمزيد انظر :

- O.C.D SV Cipius

- Lucillius sat. 534-535 L.C.L[١]

[2]- Lucillius sat. 251 L.C.L

[3]- Lucillius sat. 995 L.C.L

[4] - Lucillius sat. 859-860 L.C.L

Hic corpus solidum invenies, hic stare papillas pectore marmore

ويواصل لوكيليوس الإغراء بالذهاب إلى بيوت الدعارة ، حيث وجود نساء يقدمن أنفسهن بطريقة جيدة ، في مقابل ثمن بسيط " نساء يطلبن ثمناً اقل ، ويقدمن أنفسهن بطريقة أكثر ملائمة وبدون توبيخ " (١) .

Quae et poscent minus et praebebut rectius multo et sine flagitio .

آنذاك كان الذهاب إلى بيوت الدعارة مصرحا به ولكن بشروط طبقًا للقانون الروماني ، ولذا نجد لوكيليوس يهاجم أحد الرجال بقوله : " إنك تنفق أموالك في بيوت الدعارة ، أي نفقة تتكلفها في بيوت الدعارة ! وفي حومانك حول المدن ! " (٢) .

Quem sumptum facis in lustris circum oppida lustrans

كما ترى أحد الأشخاص يهاجم خصمه ، فيصفه بأنه فاسق داعر ، منغمس في الملذات ، ليس لي حاجة بهذا الفاسق ، هذا المحتال الملتزم بكفالة (٣) .

Nec mihi amatore hoc opus nec tricone vadato

المؤرخ سالوستيوس (٤) رسم ملامح التغيير الاجتماعي في المجتمع الروماني قائلاً : " أصبحت المشاق والمخاطر والظروف القاسية عبئًا ثقيلاً

---

(1) - Lucillius sat. 927-928 L.C.L

(2) - Lucillius sat. 1034 L.C.L

(3) - Lucillius sat. 443 L.C.L

(٤) - ولد سالوستيوس Sallustins Crispus عام ٨٦ ق.م في أميترينا وتوفي ٣٤ ق.م وكان ينتمي إلى أسرة من العامة ، كان أوَّل مؤرخ روماني ولع بقراءة الأدب اللاتيني والإغريقي امتدح المؤرخون والكتاب أعماله كمؤامرة كاتيلينا وحرب يوجورثا لعدم تحيزه وتصويرة للشخصيات وتحليلها وتفسيره للحوادث والعوامل التاريخية والأحداث – وللمزيد انظر :

- Earl, D. C. The Political Thought of Sallust. Amsterdam: Hakkert, 1961. P. 22

وتعاسه بعد ما كانوا يتحملونها بسهوله ، وهكذا اشتد التعطش للمال أوَّلاً ثم للسلطة وهذا ما كان غذاءً رئيسيًا لكافة الأفعال الشريرة فاستطاع الجشع أن يقتل أمانة الكلمة والأصالة وغيرها من المميزات الطيبة وعلَّم الناس أن يكونوا متكبرين قساة يتاجرون بكل شيء حتى أنهم بدأوا يستخفون بالآلهة " [١]

Qui labores, pericula, dubias atque asperas res facile toleraverant, iis otium, divitiae, optanda alias, oneri miseriaeqne fuere. Igitur primo imperi, deinde pecuniae cupido crevit; ea quasi materies omnium malorum fuere. Namque avaritia fidem, probitatem, ceterasque artis bonas subvortit; pro his superbiam, crudelitatem, deos neglegere, omnia venalia habere edocuit.

وتكاتفت عدة عوامل في تردي نساء روما في حمأة الرزيلة منها عدم انشغالهن بعمل جدي يملأ فراغهن فقد تزين بعض النسوة بزي الرجال وأولعن بمصاحبة الرياضيين ، وكان الفراغ والترف بوجه عام هما السببان الرئيسان في انحلال طائفة كبيرة من نساء روما في ذلك الوقت يؤكد ذلك سالوستيوس قائلاً : " عندما حلَّ الكسل مكان العمل واللهو والتعجرف مكان الاتزان والعدالة تغيرت حياة الناس مع أخلاقهم في ذلك الوقت [٢] .

" Verum ubi Pro Labore desidia, peo continentia et aequitate Iubido atque superbia invasere, fortuna simul, cum moribus inmutature "

وعبر عن ذلك شيشرون [٣] بحسرة حيث تحدث عن انهيار المبادئ الأخلاقية والسياسية التي بنيت على أساسها عظمة الرومان ومجدهم ونقمته على الوضع القائم من تدهور الجمهورية آنذاك قائلاً : " الجمهورية قديمًا كانت لوحة رائعة عندما تسلمناها ، إلا أنها زالت وبهتت تمامًا بمرور الوقت . فزماننا لم يهتم

---

(1) - Sallust: De coniuratione Catilinae 10. 2-4

(2) - Sallust, Cataline 11 . 5 Line 1

(3) -: وللمزيد انظر

- Haskell, H.J.: This was Cicero 1964, London, pp. 300–01

قط بإعادة نفس ألوانها التي كانت . بل لم يعتن حتى بها لكي يحافظ علـــى الأقـــل على هيئتها وملامحها " [١].

فنجد كلوديا Clodia زوجة كوينتوس كايكيليوس ميتللوس [٢] Quintus Caecilius Metelus أشهر النساء تحررًا قد أخذت على عاتقها الـــدفاع عـــن حقوق النساء وهزت المشاعر ، بسيرها بعد زواجها مع أصدقائها من الرجـــال ، وكانت تستقبل من تعرف من اصدقائها وتُقبّلهم أحيانًا على مرأى من الناس بـــدلاً من أن تغض الطرف وتقبع في عربتها شأن النساء الراقيات في عُرف هذه الأيام ، وكانت تقيم الولائم لأصدقائها الرجال أثناء غياب الزواج.

وقد تناول هوراتيوس ظاهرة رذيلة الزنا المتفشية في عصره ، وتمـــدنا القصيدة الثانية من الكتاب الأوّل بأسلوب ساخر بالكثير من المعلومات عن كيفيـــة الحصول على متعة محرمة دون المخاطرة بالسمعة الحسنة – قائلاً :

" كُف عن ملاحقة العقيلات فمنهن في الواقع من تجني المعانـــاة والإثـــم أكثر من أن تحصد المتعة " [٣]

" desine matronas sectarier, unde laboris plus haurire mali est quam ex re decerpere fructus

ينصح هوراتيوس في الأبيات السابقة ، كل من يلاحق المتزوجات للحصول على المتعة السريعة أن يمتنع عن هذا السلوك الشائن حتى لا يناله الألم والعقاب ، وفي المقابل يوجهه إلى ارتياد المواخير التي يمكن أن يُشبع فيها متعته

---

(1) - Cic., De Rep, V. 2.

(2) - Cic. P. Red. 37; Ad Quir. 6; Arch. 6; Vell. II 15, 3;

- Wiseman, T. P. Celer and Nepos, The Classical Quarterly, New Series, Vol. 21, No. 1 (May, 1971), pp. 180-182

(3) - Horatius sat., 1.2.78-79

الرخيصة مع العاهرات المحترفات دون التعرض للمخاطر – قائلاً : " فأنا أحب فينوس سهلة المنال والجاهزة " [١]

" namque parabilem amo Venerem facilem-que.

ذاكرًا على لسان أحد شخصياته أن اختيار البغايا أقل تكلفة وثمنها قليل " فيقول فيلوديموس الذي (يرغب) لنفسه تلك التي لا تكلف ثمنًا باهظًا ولا تتلكأ عندما تؤمر بالحضور " [٢]

" hanc philodemus ait sibi, quae neque magno stet pretio neque cunctetur cum est iussa venire.

وتتفق تلك الأبيات مع شذرة لوكيليوس في الكتاب التاسع والعشرين :
" هناك من يطلبن ثمنًا أقل ويقدمن أنفسهن بطريقة أكثر ملاءمة وبدون توبيخ " [٣]
" quae et poscent minus et praebebunt rectius multo et sine flagitio

وهذه الأبيات السابقة تؤكد الدعوة للتردد على المواخير لأن المساس بزوجات الآخرين قد يعرض صاحبه للمخاطر ومعاقبة الزوج ، وخاصة أن بائعات الهوى في روما كثيرات ومتنوعات وقد حظين بالقاب عديدة منها noctilucae "[٤] أنوار الليل " ، ambalatrices " المتجولات " ، bustuariae " النادبات " والأخريات كن يمارسن الرذيلة في المقابر تحت مسمى وظيفة النادبات المحترفات ، و diabalariae " مقابل ما يساوي اثنين من الأوبول " [٥] وهُنَّ أدنى

---

(1)- Horatius sat., .2. 118-119

(2) - Horatius sat., 1.2.121-122

– فيلوديموس هو عبد وخادم الشاعر هوراتيوس – وللمزيد انظر :

- Fraenkel, Eduard. Horace. Oxford: 1957, p. 14.

(3) - Lucil. Sat. 927-928 L.C.L

(٤) - noctilucae : صيغة الجمع noctilūca - مفردها noctilūca

(٥)– الأوبول قطعة نقد إغريقية تساوي سدس دراخمة

مرتبة فيهن جميعًا وكن يمارسن البغاء في أي مكان حتى أن مارتيـــالMartialis [١] يشير إلى أنَّهُنَّ كُنَّ يُمارسن الفاحشة على بلاط ضريح المقابر [٢] .

من جانبه ذكر " كاسيوس ديو " أن عدداً كبيراً من الرجال لجأ إلى تلـــك الفئة من النساء وخاصة أن القانون الروماني حرَّم زواج النبلاء من هؤلاء النساء [٣] .

خاصة مرافقة البغايا meretrices ، وممثلات المســـرحيات الميميـــة ، حيث زكرهن هوراتيوس ساخرًا في القصيدة الثانية من الكتاب الأوّل – قائلاً :

" ذلك العاشق أورجينوس الذي يهب مزرعة ومنزل والده لممثلة المايم "
Amator Originis ille, qui patrium mimae donat fundumque [٤]
laremque

ويتعجب هوراتيوس في الأبيات السابقة من العاشق أورجينـــوس الـــذي يضحي بمزرعة والده ومنزله من أجل إحدى الممثلات في المســـرحيات الميميـــة بسبب شهواته .

لم يقتصر الانغماس في اللذات على عشـــق العـــاهرات [٥] . بـــل امتـــدَّ الانحطاط الخلقي إلى ممارسة اللواط [٦] ووضع الرومان القوانين لحماية المجتمع

---

[١] – ماركوس فاليريوس مارتياليس هو شاعر روماني من هسبانيا ولد عام ٤٠ م وتوفي في روما عام ١٠٤ م ألف حوالي ١٢ كتاب أشهرها كتاب إبيجراما الذي نشر في سنة ٨٦ في روما = عاصر كل من دوميتيان ونيرفا وتراجان، اشتهرت أشعاره بالفكاهة في روما، وكثيراً ما كانت تشاع عنه الفضائح لكثره أشعاره الرومانسية .

- Kiefer, O., Sexual Life in Ancient Rome. London 1953, P. 62 f.

- Martiales, I, 34-38

[2] - Griffin J, " Augustan Poetry and Life of Luxury ", JRS 66 (1976) P. 64

[3] - Cassius Dio. 54, 10

[4] - Horatius Sat., 1.2.56-57

[5] - D.R. Shackleton Bailey, Cicero Epistulae ad familiars (Cambridge University Press, 1977), vol. 1, p. 432.

[6] - Catharine Edwards, The Politics of Immorality in Ancient Rome(Cambridge University Press, 1993), p. 71;

، مثل قانون يوليا للزنـــاة Lex lulia Adulteriis ، وقـــانون ســـكانتينوس Lex Scantinia [١] الخاص بالواط عام ٥٠ ق . م .

وبالرغم من صرامة هذه القوانين فإنها فشلت في القضاء على الزنا وكبح جماحه ، بل إن قانون يوليا للزناة قد أغفل تقريبًا في نهاية القرن الأوَّل ق . م [٢] ، ويصف هوراتيوس أحد هؤلاء المخنثين إذ يقول : " يتبختر مالتينوس بعباءات مسدله على الأرض " [٣]

Maltinus tunicis demissis ambulat

فإن كان لأحد أن يمرض بذلك الداء الذي مـــرض بـــه بـــاروس ، وأن يرغب بأن يُعتقد بانه وسيم ، فليذهب أينما شاء ، فإنه سيدفع كـــل واحـــدة مـــن الفتيات للاهتمام بالاستفسار عن ما يلي : ما شكل وجهه وكاحله وما شكل قدمـــه وأسنانه وشعره .

Ut si qui aegrotet quo morbo Barrus, haberi et cupiat formosus, eat quacumque, puellis iniciat curam quaerendi singula, quali sit facie, sura, quali pede, dente capillo (Sat., 1.6.30-33)

---

[١] - Lex Scantinia قانون روماني قديم كان يعاقب على الجرائم الجنسية (الاغتصاب) استخدام القانون لملاحقة المواطنين البالغين الذين تناولوا عن طيب خاطر دورا سلبيا في ممارسة الجنس = مع رجال آخرين . وهكذا يهدف إلى حماية الجسم المواطن من الاعتداء الجنسي (الاغتصاب) ، الاستخدام الرئيسي لل Scantinian القانون يبدو أنه قد تم به مضايقة المعارضين السياسيين الذين فتحت عليهم مجالات للنقد من انتهاكات القانون كجريمة يعاقب عليها بالإعدام.

[2]- Michael C. Alexander, Trials in the Late Roman Republic, 149 BC to 50 BC (University of Toronto Press, 1990), pp. 167–168, .

[3] - Horatius Sat., 1.2. 25

– اختار هوراتيوس اسم مالتينوس كاسم لنموذج الشاب المُخنس هو اختيار موفق لأنه يتفق مع الصفة Malta التي تعني " شاب مخنث " وربما يكون هذا الشخص أحد الشخصيات المعاصرة للشاعر أو من مزج خياله .

وأشار الكتاب والشعراء إلى أنواع النساء في أعمالهم المتنوعة ، فأشاروا إلى البغي المحررة libertine neretrix وفتاة البغي المحـــررة meretrix [١] ، تلك الفئة من النساء التي لا تكتفي برجل واحد وهدفها الأوّل هو جمـــع المـــال ، بترديد قصتها المكررة ، بأن شخصًا ما سرقها . والعقيلة matrona ربة الأســـرة mater familias والعذراء Virgo ذات الأصل النبيل ، وأشار أيضًا إلى ملابـــس تلك الفئات الثلاث ، فالمحظية كانت ترتدي التوجا الصفراء بدلاً من الستولا ، وقد ذكر هوراتيوس تلك الفئة إذ يقول :

" ما (الاختلاف) إذا ما أثمت (أخطأت) مع عقيلة أو مع أمة ذات عباءة ؟ " [٢]

quid inter est in matron, ancilla peccesne togata ?

ويصور هوراتيوس نماذج لمخاطر الانغماس في اللذات سواء للعاشق أو للخاطئة في القصيدة الثانية من الكتاب الأوّل ذاكرًا ماذا يحدث ! للعشـــيق إذا مـــا اكتشف الزوج أمره : " هذا ألقى بنفسه بتهور من أعلى المنزل : وذاك حُكم عليه بالجلد حتى الموت ، وهذا وقع في يد عصابة من اللصـــوص المتوحشـــين أثنـــاء فراره ، وهذا أعطى نقودًا من أجل حياته ، وهذا رشه الخدم بالماء ، وحدث مـــا يلي أيضًا : فقد قطع لشخص بالسيف خصيته وقضيبه " [٣]

Hic se praecipitem tecto dedit; ille flagellis ad mortem caesus, fugiens hic decidit acrem praedonum in turbam, dedit hic pro copore nummos, hunc perminxerunt calones; quin etiam illud accidit, ut quidam testis caudamque salacem demeteret ferro.

---

(1) - Henderson J., " Satire Writes Woman : Gender Song " Pcph 35 (1989)

(2) - Horatius Sat.,1.2.62-63

(3) - Horatius Sat., 1.2. 41-46

- واستخدم بعض التعبيرات الملائمة للموقف مثل " يدنس perminxerunt " وكلمات تتسم بعدم الاحتشام مثل تسميته للأعضاء التناسلية بأسمائها وذلك لكي ينبذ الشباب ويترك تلك الأفعال

تلك كانت المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها كل زاني عندما يعود زوج عشيقته من عمله ويضبطه مع زوجته في منزله ، ويصف النســـاء المتجـــاوزات بأنهن : " متزوجات خاطئات " Matronae peccantis [١] ، ويصفهن أيضًا في إحدى الغنائيات بأنهن يبحثن عن الشباب – قائلاً : " سريعًا تبحث عن زناة أصغر سنًا بين خمور زوجها " [٢]

Mox iuniores quaerit adulteros inter mariti vina

وقد خولت للزوج قوة تطبيق العدالة وإنزال عقوبة الخطيئة عليهمـــا [٣] ، ويواصل هوراتيوس الحديث عن مخاطر الزنا فيؤكد أن الحكيم هو من يقدر على مقاومة مثل هذه الرغبات : " من يكون إذن الشخص الحر ؟ الرجل الحكيم ، الذي يكون سيدًا على نفسه ، والذي لا يروعه الفقر ولا الموت ولا القيود شجاعًا فـــي تحديه لرغباته وفي احتقاره لمظاهر التكريم " [٤]

Quisnam igitur liber ? sapiens, sibi qui imperiosus quem neque peuperies neque mors neque vincula terrent, responsare cupidinibus contemnere honores fortis,

ويصور النساء الممثلات كانيديا وساجانا في القصيدة الثامنة من الكتـــاب الأوّل عندما يصور لنا مظهرهن الفوضوي المثير للرعب horrendas aspect [٥] وشعرهن الأشعث passoque capillo [٦] واقدامهن العاريـــة pedibus nudis [٧]

---

(1) - Horatius Sat., 2.7. 62

- الفعل (peccat) بمعنى " يرتكب إثمًا " والفعل (corruptor) فاسدًا أخلاقيًا

(2) - Horatius Od. 3.6. 25-26

(3) - Horatius Sat., 2.7.62-64

(4) - Horatius Sat 2.7 83-86

(5) - Horatius Sat 1.8.26

(6) - Horatius Sat 1.8.24

(7)- Horatius Sat1.8.24

وملابسهن السوداء nigra palla [١] ، وفي عمل آخر [٢] يشجب سلوك المرأة المتزوجة التي تصر على عرض نفسها باستمرار لتنال ود شخص غريب . ومثل هذه الإشارات في أعمال هوراتيوس كانت مألوفة في العرف الأدبي الذي سار على نهجه ، فقد اتبع نفس سخرية أرخيلوخوس [٣] Archilochus القاسية ، والهجوم العنيف المُتبع في الكوميديا الأتيكية القديمة .

والغريب أن فئة الفاسقات لم تكن تقتصر فقط على الطبقات الدنيا في المجتمع ولكن وجدن في أسر نبيلة ، وذكر منهن على سبيل المثال فوستا Fausta ابنه سوللا :

" فيللوس صهر سوللا ، هذا البائس الذي خدعه اسم واحد عوقب بأقصى مما هو كاف بسبب فوستا "[٤]

Villius in Fausta Syllae gener, hoc miser uno nomine deceptus, poenas dedit usque superque quam satis est,

ووصل من تجاوزات المرأة حضور الزوجات والنساء المنتدى الروماني convivium الذي كان يُعد اجتماعًا للرجال لا تقربه الزوجات ولا البنات ويستثنى من هذه القاعدة العاهرات اللاتي يعزفن الموسيقى ويرقصن ويعملن على إشباع

---

(1)- Horatius Sat1.8.23

(2) Horatius Od. 3.6. 22-23

(٣) – أرخيلوخوس Archilochus Ἀρχίλοχος هو شاعر غنائي إغريقي من القرن السابع قبل الميلاد ولد في سنة ٦٨٠ ق م في جزيرة باروس أثناء العصر الأرخائي ، عرف أرخيلوخوس =بالتنوع والابتكار ، ويعتبر أول شاعر إغريقي يدخل الموسيقى بشعره عن طريق المشاعر والتأثيرات.استفاد منه العديد من الشعراء اللاحقين وتوفي عام ٦٤٥ ق.م – وللمزيد انظر :

- David A. Campbell, Greek Lyric Poetry, Bristol Classical Press (1982) page 136

(4) - Horatius Sat., 1.2. 64-66

رغبات الرجال الجنسية ، أما في روما كان محرمًا علـــى المـــرأة مـــن قبـــل أن تضطجع على الأرائك مثل الرجال في هذه الحفلات [١]

نتائج الدراسة :

- كشفت الدراسة عن انغماس المجتمع الروماني في الملذات هروبًـــا مـــن الانشغال بالسياسة والقضايا العامة وتعويضًا عن الحرية المفقودة
- رصدت الدراسة التصدع الخلقي والديني في أغوار المجتمـــع الرومـــاني مما أدى إلى انفصام رابطة الزواج والتسابق على اللهو والألعاب بدلاً من العمل
- أوضحت الدراسة نتائج الانفتاح على الثقافات الأجنبية وانبهار الرومـــان بالثراء والسلطة فتغيرت عاداتهم مع أخلاقهم ففقدت الأســـرة الرومانيـــة هيمنة رب الأسرة Pater Families وتحكم العبيد المنتمـــين لجنســـيات عديدة والذين باشروا تأثيرًا هدامًا .
- ألقت الدراسة الضوء على خفايا المجتمع من خـــلال كتابـــات الشـــعراء والأدباء التي أعطتنا صورة تكاد تكون مشابهة لما كان يحدث وقتها
- كانت تجاوزات المرأة الرومانية وانطلاقها وراء طموحها سببًا لكثير من المطامع التي كانت ضدها سواء في بيتها أو مجتمعها وهذا كان من أحد أسباب سقوط الجمهورية لتصدع الهيكل الداخلي من خلال سقوط الأسرة الرومانية صريعة لأنها فقـــدت وتخلـــت عـــن دورهـــا وعـــن عـــادات السلف.

---

(1) - Dixon, S. " Reading Roman Women : Sources, Genres and Real Life ". London. 2001

- Forbis, E.P. " Women's Public Image in Italian Honorary Insciptions"(AJP) 1990. III: PP 493-512.

المصادر والمراجع

- Cicero, Tusculanes Disputationes, ed. And trans. By King, J. E., (Cambridge 1971).
- Marcus Valerius Martialis, The Epigrans of Martial, ed. And trans. By Bohn, H.G.., (London 1969)
- Valerius Maximus, Memorable Deeds and Sayings, ed. And trans. By Wardle, D., (Oxford 1998)
- Velleius Paterculus, Compendium of Roman History, ed. And trans. By Shipley, F., (LCL 1924)
- Balsdon, J.P.V.D., Roman Women, (New York 1975)
- Clark, G., " Roman women ", in: Women in Antiquity, ed. I. McAuslan and P. Walcot, (Greece and Roman ", Studies 3, Oxford and New York 1996) 36-55
- Fantham, E., Julia Augusti, (Routledge 2006)
- Harrington, K., The Roman Elegiac Poets, (London 2002)
- Hersch, K., The Roman Wedding: Ritual and Meaning in Antiquity, (Cambridge 2010) .